الترنسفال والاشنتي

الترنسفال

كثر ذكر الترنسفال في هذه الايام واهتمت بها الجرائد السياسيَّة والشركات التلغرافيَّة اهتماماً عظيماً لانها كادت تكون جذوة نار تضرم بها الحرب بين انكلترا والمانيا فرأينا ان نوافي قراء المقتطف بخلاصة تاريخها ومقدمات الحوادث التي حدثت فيها اخيراً. وقد اضطررنا ان نعيد نشر خريطة افريقية ليتضح موقع هذه البلاد وبلاد الاشنتي الآتي ذكرها

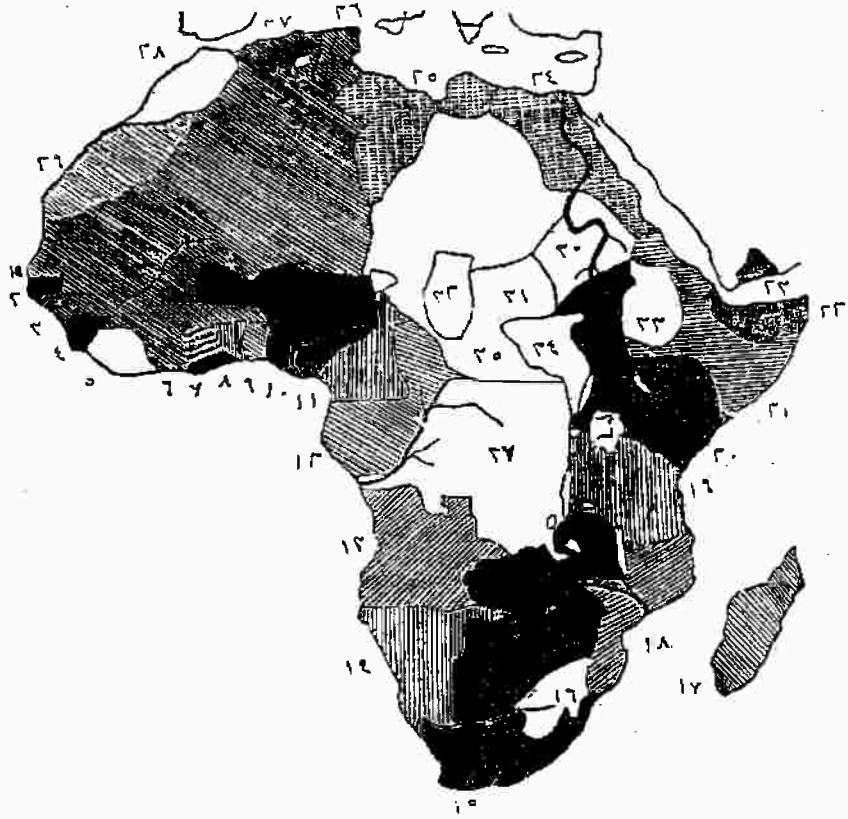

اذا نظرت إلى هذه الخريطة رأيت في اسفلها بقعة بيضاء صغيرة فيها الرقم ١٦ تحيط بها ارض سوداء من كل ناحية تقريباً فالارض السوداء بلاد راس الرجاء الصالح وغيرها من املاك انكلترا في جنوبي افريقية والبقعة البيضاء فيها نهر فاتحت النهر ولاية الاورنج الحرَّة وما بقي

من البقعة البيضاء بلاد الترنسفال . وهي جمهورية صغيرة مساحتها نحو مئة وعشرين الف ميل مربع وعدد سكانها ٧٦٩ الفاً والبيض منهم ١١٩ الفاً فقط . وقد جادت الطبيعة عليها بكل حسن وغال ففيها المناجم الكثيرة الذهب والفحم الحجري والحديد والنحاس وتربتها جيدة للزرع والغرس وماؤها طيب وهواؤها ملائم للبيض ولذلك طمحت اليها الابصار وامها الاوربيون من كل الاقطار وخصوصاً الانكليز . فمعظم الذين ينزلون بلاد راس الرجاء الصالح منهم يقصدونها وقد جاء احدى مدنها ٩٠٠ نسمة في يوم واحد من ايام الشهر الماضي واتاها نحو ٣٠٠ شخص من اقاصي استراليا في مركب واحد

ومما جعل الترنسفال كعبة القصّاد من اقاصي البلاد مناجمها الذهبية التي اكتشفت من عهد قريب وقدّر المقدرون انهُ يمكن ان يستخرج منها سبع مئة مليون جنيه في مدة خمسين سنة . اما الانكليز فدخلوها ومازجوا اهلها قبل اكتشاف معادنها بزمان طويل وامتلكوها سنة ١٨٨٠ ثم اخلوها لاهلها البوير بعد ذلك باربع سنوات كما سيجيء

والبوير (ومعناهُ الفلاحون) قوم لا يعرف الاَّ النزر اليسير عن اصلهم وفصلهم وقد أُطلق اسمهم على كل الذين نزحوا إلى الترنسفال منذ اكثر من مئتي سنة واكثرهم هولنديون سكنوا بلاد راس الرجاء اولاً فنجحت على ايديهم لحذقهم ومهارتهم في حرث الارض وزرعها ثم رحل فريق منهم إلى الشمال لظلم الحكام لهم ونزلوا بلاد الترنسفال التي نحن في صددها

ولما دخل الانكليز بلاد راس الرجاء الصالح في اوائل القرن الحاضر لم يكن فيها من البوير غير القليلين فعاشوا جميعاً بالاتفاق والسلام وخضع البوير للاحكام في بادىء الامر عن طيب نفس وليس ذلك بغريب على قومين تجمعهم جامعة النسب واللغة فانهم هم والانكليز على ما يعرف من اصل واحد ولغتهم تشبه الانكليزية وكتابتها متفرعة على اللغة السكسونية . فتمازجوا معاً وسهل تمازجهم لمشابهتهم للانكليز في الاخلاق والعوائد ولكنهم ما لبثوا ان قاموا ورفضوا الاحكام ونبذوا سلطة الانكليز فآل ذلك إلى حرب بين الفريقين تأصلت فيها البغضاء بينهما وتفاقمت الشحناء فلم تطب للبوير بعد ذلك الاقامة في بلاد الرأس لظنهم السوء في حكامهم ولاعتيادهم الحرية في المعيشة والاحكام ولاسباب اخرى لا محل لاستيفائها هنا

وسنة ١٨٣٤ تأهبوا للهاجرة فشدوا الرحال وساقوا قطعانهم امامهم واخذوا في النزوح عن البلاد زرافات قاصدين الانحاء الشمالية حتى ضرب قسم منهم في بلاد اسمها ناتال وآخر في بلاد الترنسفال

ولما نهض الانكليز في اوائل القرن الحاضر وسعوا في تحرير الرقيق مانعهم البوير الذين

في رأس الرجاء اشد ممانعة لما في تحرير الرقيق من الخسارة الباهظة عليهم فانهم كانوا يستخدمونهم في الاعمال بلا اجرة ولكن لم يجدهم ذلك نفعاً ولم يقووا على المقاومة فتحرر كل عبيدهم ومن ثم زاد نفورهم من الانكليز واخذوا ينسبون اليهم المحاباة في الاحكام والميل الى العبيد ومعاملتهم لهم بالحسنى اكثر من معاملتهم للبوير . فتوثقت في قلوبهم الاحقاد واستمكن منهم الجفاء حتى اليوم . ومع كل ذلك فانهم يقرون ان منهج الحكومة وتصرفها في معاملتها لهم وفي تحرير العبيد مطابقان لاصول الشرف والعدل والمروّة

ولما احتل المهاجرون الترنسفال وطابت لهم البلاد وراق لهم العيش فيها لمراعيها النضرة وجودة تربتها وطيب هوائها رفضوا حكم الانكليز عليهم مع ان الحكومة كانت قد اعلنتهم انهم مقيدون باحكامها ومرتبطون بشرائعها ولو نزحوا عن بلاد رأس الرجاء . ولما اثروا وتوالدوا وزاد عددهم بجموع الوافدين عليهم من البلدان الاخرى اقاموا مجلس شورى للامة وسنوا القوانين لانفسهم فلم يمانعهم الانكليز في ذلك بل اطلقوا لهم حرية الاحكام ولم يتعرضوا لهم في امرهم واعلنت الحكومة ان كل الذين يسكنون عبر الفال (وهو النهر المشار اليه آنفاً) لهم الحرية المطلقة في الحكم على انفسهم . فكان اسم البلاد اولاً الجمهورية الهولندية الافريقية فسميت بعد ذلك ترنسفال اي عبر نهر الفال

وكان في البلاد غير البوير قوم من سكانها الاصليين فلم يرحبوا بالوافدين على بلادهم ولم يسالموهم بل كانوا لهم حجر عثرة يقاومونهم كيف ذهبوا . واشتبك القتال بينهم وبين البوير ولم يتمكن البوير من اخضاعهم . ولما رأى الانكليز ذلك خشوا عواقب النزاع وخافوا ان يسطو رؤساء القبائل حنالك على مستعمرتهم فيغزوها وينهبوا مدنها فبعثوا معتمداً من قبلهم إلى الترنسفال وفوضوا اليه وضع البلاد تحت الحكم الانكليزي وجعل السكان من رعايا الحكومة الانكليزية فلم يرفض البوير ذلك في بادىء الامر ولكنهم جاهروا اخيراً بالعصيان وذلك سنة ١٨٨٠ وهاجموا العسكر الانكليزي المقيم في بلادهم واهلكوه عن آخره وعادوا فسنوا لانفسهم قوانين ونظموا مجلساً للامة فبعثت الحكومة الانكليزية بفرقة من العسكر لاخضاعهم فلم تتمكن من الثبات امام قوم رحل اعتادوا الصيد والقنص واستعمال السلاح

ثم رأت ارسال جيش كبير للانتخان فيهم ولكنها عدلت عن عزمها لانها علمت ان اخضاعهم لا يأتيها بنفع يذكر بل يجعلهم آفة على سلام البلاد . هذا عدا عن ان ثلثي سكان مستعمرة راس الرجاء الصالح من البوير فاذا ضربت اخوانهم ونكلت بهم قاموا بثورة عمومية واثاروا حرباً وبيلة عليها فاعترفت بحريتهم منعاً للشقاق وتأييداً للسلام وعقدت معاهدة

مع رؤسائهم من موادها ان يعطوا حريّة الاحكام مع اعترافهم بسيادة انكلترا وان يكون لانكلترا حق اقامة معتمد انكليزي في البلاد وحق تسيير جيوشها فيها زمن الحرب والسيطرة على مهامها الخارجيّة. ثم عقدت معاهدة سنة ١٨٨٤ فلم يبقَ لانكلترا من تلك الحقوق غير ادارة مهام الترنسفال الخارجيّة

ولما كشفت مناجم الذهب في هذه البلاد امها الناس من كل البلدان وكان اكثر الوافدين اليها من الانكليز فسماهم البوير "ويتلندر" اي مهاجرين. وتكاثر الويتلندر سريعاً حتى صار عددهم ثلثة اضعاف البوير وصاروا هم اصحاب الثروة في البلاد وان يكن البوير قد اثروا اثراء عظيماً ايضاً ولكن تسعة اعشار دخل الحكومة من الويتلندر. ولما كان الويتلندر يُعتبَرون مزاحمين للبوير على ثروة بلادهم مسابقين على خيراتهم كان البوير يكرهون تكاثرهم في بلادهم ويضنون عليهم بما يتمتعون هم به من الحقوق والمزايا ويضايقونهم جهد المستطاع منعاً لكثرتهم خوفاً من ان الاكثريّة تكسبهم الاولويّة على توالي الايام. والويتلندر اهل جد ومهارة في الاعمال وسعي الى النجاح فقد اكتتبوا حديثاً باكثر من ثلاثين الف جنيه لانشاء مدرسة لتعليم اولادهم واما البوير فجهلة لا يهتمون بشيء من اسباب الحضارة

اما اسباب الفتنة الاخيرة التي حدثت بين البوير وبين الويتلندر فلم تجلِ حق الانجلاء حتى الآن ولا ينكشف سرها الاّ بعد محاكمة الدكتور جيمسون الذي حمل على بلادهم فحاربوهُ واخذوهُ اسيراً. لان البوير يدّعون سبباً والويتلندر يدعون سبباً آخر. فالبوير يقولون ان سبب الفتنة هو طمع الويتلندر الانكليز في البلاد ورغبتهم في ضمها إلى املاك دولتهم ولذلك ناوأهم سائر الويتلندر من الاميركيين والالمانيين وغيرهم من النازحين من استراليا ايضاً. ويزعم رئيس جمهوريّة الترنسفال ان عندهُ بينات على صدق هذه الدعوى

ويدّعي الويتلندر وخصوصاً الانكليز منهم ان سبب الفتنة هو جور حكومة البوير عليهم واجحافها بحقوقهم فانهم يدفعون اليها الاموال الطائلة ضرائب واتاوي حتى ان تسعة اعشار ما يدخل خزينتها يؤخذ مما كسبوهُ بتعبهم وعرق جبينهم وهي تبخل عليهم برجال اكفاء لحفظ الامن عندهم ووقاية ارواحهم واعراضهم حتى يخاف بناتهم ان يبعدن مسافة مئة ذراع عن مدينة يوهنسبرج اعظم مدن تلك البلاد لئلا يفتك بهنّ لصوص الكفرة الراصدين للسلب والنهب والاعتداء. وتبخل عليهم الحكومة بالمال لفتح المدارس وتعليم اولادهم على نفقتها اسوةً بأولاد البوير الذين يعلمون على نفقتها. وتميز بينهم في العقائد والاديان فتقدم الذين هم من مذهبها على الذين ليسوا من مذهبها في بعض الامور. وتحرمهم حق انتخاب النواب منهم

في مجلس الامة للذود عن حقوقهم والدفاع عن مصالحهم وتجملهم معظم اثقال الضرائب على حين تميز قومها البوير في كل امر عليهم

والظاهر انهم لما يئسوا من ادراك ما يطلبون من حكومة البوير استنجدوا الدكتور جيمسون وهو عامل الشركة الانكليزية في جنوبي افريقية ببلاد بتشوانا المجاورة لبلاد الترنسفال غربًا فاجتاز الحدود لانجادهم وجرى ما جرى مما اصبح امرهُ مشهورًا فلا حاجة الى اعادتهِ . هذا هو الظاهر واما الحقيقة فلا تزال مجهولة

واما المانيا فقد حار الناس في تعرفها لهذهِ المسألة وتداخلها في شؤون بلاد لم يسبق لها شأن فيها . فانها لما علمت ان الدكتور جيمسون اجتاز الحدود لانجاد اهل مدينة يوهنسبرج الويتلندر بادرت فذاكرت دولة البورتغال في انزال بحارتها من خليج دلاجوى شرقي بلاد موزمبيق (وهي للبورتغال) وقطع بلادها للوصول الى بلاد الترنسفال وانجاد اهلها البوير على الانكليز والويتلندر . ولم تكتفِ بذلك بل انها لما سمعت ان البوير كسروا الانكليز واسروهم ارسل امبراطورها يهنيء الرئيس كروجر رئيس الترنسفال على ذلك بعد مشاورة البرنس هوهنلوهي وزيرهِ

ويدَّعي الالمان انهم لم يتعمدوا عداوة الانكليز بما فعلوا لان انكلترا جاهرت ان لا يد لها في فتنة الويتلندر وان مسير الدكتور جيمسون بقومهِ الى الترنسفال كان على غير علمها وغير رضاها فارادوا الاخذ بناصر البوير انتصارًا للهولنديين وكفًّا لطمع الشركة الانكليزية في جنوبي افريقية عنهم وان الترنسفال جمهورية مستقلة ليس لانكلترا سيطرة عليها في امورها الخارجية كما انهُ ليس لها سيطرة عليها في امورها الداخلية اذ المعاهدة المعقودة بينهما سنة ١٨٨٤ ألغت سيطرة انكلترا التي كانت مقررة لها سنة ١٨٨١ ولم تبقِ لها حقًّا فيها على الاطلاق

واما الانكليز فيدَّعون ان المانيا لم تفعل ما فعلت الاَّ تعمدًا لمعاداتهم ورغبة في اضاعة حق السيطرة المقررة لهم على امور الترنسفال الخارجية وطمعًا بامتلاك تلك البلاد على توالي الايام لزيادة ثروتها بما فيها من مناجم الذهب وغيرهِ من المعادن . فان البرنس بسمرك كان يفكر في ضم بلاد الترنسفال الى الاملاك الالمانية في ايام الامبراطور ولهلم الاول وقد عزم على اخراج ذلك من القوة الى الفعل ولكن كره الامبراطور يومئذٍ ان يعادي انكلترا وتصدَّى ابنهُ الامبراطور فردريك لبسمرك فمنعهُ من ذلك . وكان البرنس هوهنلوهي يرى رأي بسمرك حينئذٍ فلما توفي الامبراطور فردريك وخلفهُ الامبراطور ولهلم الثاني وتولى البرنس هوهنلوهي ادارة المهام الالمانية ظل يترقب الفرص حتى سنحت لهُ هذه الفرصة فاغتنمها

وحدث ما حدث . على ان انكلترا لا تتنازل عن السيطرة على امور الترنسفال الخارجيَّة ولا تسمح لالمانيا ولا لغيرها من الدول الاخرى ان تتعرض لها . ولذلك بادرت بارسال اسطولها الى خليج دلاجوى وتأهبت للقتال وقالت انها تحارب ولا تتنازل عن حق من حقوقها في الحال والاستقبال

ويؤخذ مما روته الجرائد ان المانيا لما رأت هذه الشدَّة من انكلترا لطفت جرائدها الكلام ويؤمل ان ينتهي هذا المشكل على صلح وسلام

الاشنتي

وبلاد الاشنتي مملكة صغيرة في الجنوب الغربي من افريقية فوق الرقمين ٧ و٨ في خريطة افريقية المدرجة في صدر هذه المقالة فان القسم الاسود هناك هو شاطئ الذهب الذي يخص انكلترا وفيهِ مدينة كاب كوست كسل وعرضهُ نحو ثمانين ميلاً فقط وطولهُ نحو ٣٥٠ ميلاً وما قوقهُ من الاراضي المخططة تخطيطاً شبيهاً هي بلاد الاشنتي ويقدَّر عدد سكانها من مليون الى ثلاثة ملايين خمسهم رجال حرب . والارض خصيبة كثيرة الحراج والمزارع ومن غلاتها الذرة والدخن والارز والنبغ والسكر والنارجيل والاناناس والصمغ والاصباغ والخشب . واكثر صادراتها التبر وهو كثير فيها وزيت النارجيل والعبيد . والسكان حاذقون في الصنائع اليدية وهم ينسجون القطن ويصنعون الخزف . ولكنهم وثنيون يضحون الضحايا البشريَّة ويكثرون الزوجات ولملكهم ٣٣٣٣ زوجة . وعاصمتهم مدينة كوماسي وبيوتها خصاص من القصب والطين وفيها كثير من السكان وهم في تقدير اهلها مئة الف نفس . ولا يعلم تاريخ هذه المملكة في الازمنة القديمة ولكن يظهر ان سكانها هاجروا اليها منذ مئات من السنين هرباً من وجه المسلمين الذين امتدت سلطتهم في غربي افريقية . ونشبت الحرب بينهم وبين الانكليز سنة ١٨٠٧ فتغلب الانكليز عليهم وطردوهم الى داخل البلاد . ثم نشبت الحرب ثانية بينهم وبين الانكليز سنة ١٨٧٣ فسار عليهم الجنرال ولسلي صاحب الحملة المصريَّة وحاربهم حرباً تشيب لها الاطفال وحرق عاصمتهم وتعهَّد ملك الاشنتي بالتخلي عن كل حق في بلاد الساحل وبدفع خمسين الف اوقية من الذهب غرامة الحرب

ولم تفرغ السنة الماضية حتى وقع الخلاف بين ملك الاشنتي والحكومة الانكليزيَّة فسيَّرت عليهِ حملة صغيرة ولم تكد الحملة تدخل بلادهُ حتى اذعن بالطاعة صاغراً واسلم نفسهُ ليدهم من غير حرب ولا قتال